بسم الله الرحمن الرحيم

بحث بعنوان
التربية بالتسليم للّه تعالى
وآثارها في حياة المسلم

الباحث الرئيس
د. نهيل علي حسن صالح

الباحث المشارك
د. تسنيم نورالدين فالح المهيدات

الملخص

هدف البحث إلى دراسة أصل عظيم ومبدأ أساسي من مبادئ التربية الإسلامية وهو التربية بالتسليم لله تعالى، لما لهذا الموضوع من أثر ايجابي في حياة الفرد والمجتمع، حيث يمثل هذا النوع من التربية الحصانة الفكرية والمناعة الواقية للعقل المسلم، فكان البحث لتأصيل التربية بالتسليم لله، وبيان التطبيقات العملية لها، وتحديد أهم القواعد الضابطة لتفعيلها في حياة المسلم.

وخلص البحث إلى أن التربية بالتسليم لله تعالى تعني تنشئة الفرد المسلم على فهم المرجعية الشرعية ومقاصدها وتقديمها وتفعيلها في شؤونه كلها، وذلك بالانقياد والطاعة والرضا، وهذا لا يعني تعطيل العقل، وإنما تفعيله في فهم النصوص الشرعية، وتوجيهه الوجهة الصحيحة، كما أثبت الدراسة ضرورة تحديد القواعد اللازمة لضمان فاعلية هذه التربية في حياة المسلم، وصولاً إلى الآثار التربوية التي شكلت شخصية الفرد الإيجابية وشخصية الأمة الفاعلة.

ويوصي البحث بضرورة تعليم الأبناء مبدأ التسليم، الذي هو من كمال الأدب مع الله تعالى، ودليل على محبته، بالإضافة إلى تعليمهم مهارات التفكير الناقد؛ بحيث يميزون بين التبعية الثقافية وبين الاقتباس النافع، مع تقديمهم أولوية الاعتزاز بالدين والعقيدة، كما توصي الدراسة بأن يعتني المربون بتعظيم الوحيين عن طريق التوجيه التربوي الجاد للمناهج التعليمية.

الكلمات المفتاحية: التربية، التسليم لله.

Abstract:

This research aims to study and clarify the most important principle of the Islamic principles, which is the faith and Surrender to God. and this subject has a huge positive impact on us as individuals and also on the surrounding society. also, this very important principle represents a sort of immunity which protects a Muslim brain and perspectives.

So this study will clarify how to translate the trust in god into an effective rules to follow in our daily basis.

Raising the individual Muslim to trust and have the faith in god means understanding the Islamic reference and not only that, but letting this understanding alive through following it in his daily routine, that doesn't necessarily means to stop his mental instinctive functions, but making it effective in understanding the Islamic versions. And it directs to the right destination. It also proved the necessity of defining the needed rules to guarantee the effectiveness of this important principle in the Muslim's life. reaching the results which created the individual's positive personality and other surroundings.

On the other hand, this research recommends the necessity of teaching the new generations this important principle. Which completes the politeness and appreciation in a Muslim's relationship with god. And a proof for his love. In addition to teach them -the new generation- the skills of critical thinking. Which differentiates between following the habits of the present culture and quoting or copying the beneficial traditions and principles of the old cultures and being proud of their religion and beliefs. And by taking the responsibility of serious directing and insulation to build strong united community.

Keywords: Education, Surrender to God

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنَّ العقيدة والدّين والإسلام مصطلحات ثلاثة جميعها صحيحة. أمّا أقدمها فهو الدّين، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩]، وقد جاء الحديث عنه في القرآن الكريم باعتباره القاسم المشترك الأعظم بين الأنبياء جميعاً من لدنّ آدم عليه السّلام، وانتهاءً بمحمّد - صلى الله عليه وسلم -، وإن كان مصطلح الدّين مشتقاً من دان أي انقاد وخضع من تلقاء نفسه، فإنَّ مصطلح العقيدة مشتقة من اللزوم والتأكد والاستيثاق، ولذا فإن كلا اللفظين يمكن أن ينصرف للحق أو للباطل؛ إذ يمكن أن يُقال دين حق ودين باطل، وعقيدة صحيحة وأخرى باطلة، أما مصطلح الإسلام إذا ذُكر لا يمكن إلا أن يكون واحداً، فلا وجود إلا لإسلام واحد، الذي يعني الاستسلام لشرع الله تعالى ولأوامره، والذي يعمق معنى التسليم لله تعالى والرضا بقضائه.

ونصوص الإسلام العظيمة (الكتاب والسنّة) ما نزلت إلا لهداية الإنسان في ميادين الحياة ومجالاتها المختلفة، فالتسليم لها واجب شرعي يحصّل الفرد به خيري الدنيا والآخرة، وهو من كمال الأدب مع الله تعالى، ودليل على محبة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، وعلى تمام الإيمان، وهذا لا يعني إغفال استخدام العقل أو تعطيله، فقد أعطى الإسلام العقل أهمية كبرى، فهو مناط التكليف وأساس التفكير، وهو شرط في معرفة العلوم وبه يكمل العلم والعمل، غير أنه ليس مستقلاً، كما يدعي أهل الشبهات الذين يضلون الناس بشبهاتهم ومزالقهم.

فكان لا بد من قيام التربية ممثلة بمؤسساتها المختلفة على تعميق قدسية النصّ الشرعي، ليست فقط القدسية في التلقي والقبول كما هو المفهوم السائد الآن، ثم المصير إلى الاحتكام للواقع، وإعطائه سلطة تطبيقية أكبر من سلطة النص بحجة ما عليه الناس الآن، وقوة الواقع وضغطه، وإنما قدسية الأصل من خلال الثبات على النص الشرعي تقبلاً وعملاً، والرضا به، وتفعيل معانيه ودلالاته في الحياة.

وعليه فإن موضوع تربية التسليم لله وأثره في حياة المسلم، والتعرف على مفهومه وتأصيله في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكذلك في تطبيقاته العملية في الأحكام الشرعية، وإدراك أهم قواعد ضمان فاعليتها، والوصول إلى أهميتها في بناء الشخصية الإسلامية السوية، سيؤدي بلا شك إلى رفع مستوى التفكير لدى المسلم بأسلوب مرن يتكيف مع الواقع، وبعقل نير وفق منهجية

واضحة، وبالتالي سيساعد في تمكين الأمة الإسلامية من القدرة على مواجهة المتغيرات بحكمة، والإسهام في تكوين درع قوي لصد الهجمات الغابرة عليهم، كما أن في بنائها ثم إدراجها في المناهج التربوية وعي لأبناء الأمة ومنهج لهم واستنهاض، حتى يؤدوا واجبهم دون المعاناة من عوامل الفرقة والتخاذل، وغير ذلك من انعكاسات سلبية على تربية الجيل.

مشكلة البحث وأسئلته:

تبرز مشكلة البحث في ملاحظة وجود اختلال واضح في تربية الفرد المسلم عندما غابت عن المناهج التربوية قاعدة أساسية وهي مبدأ التسليم لله تعالى، إذ وقعت في مزالق أصحاب الأفكار الشاذة البعيدة كل البعد عن مفهوم مبدأ التسليم، وأغفلت أسسه القائمة على الخضوع والرضا بقضاء الله، فأنتجت نماذج تريد أن تخضع دينها لرغباتها وآرائها، وتعد تسليمها لخالقها ضرباً من التقليد، رغم أن في رضاها بالله معبوداً وإلهاً ومشرعاً، وبالإسلام منهاجاً وقانوناً، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نموذجاً ومثلاً أعلى، لذا تلخصت مشكلة البحث في السؤال الآتي: ما هي التربية بالتسليم لله تعالى وآثارها في حياة المسلم؟

وسيحاول البحث الإجابة على الأسئلة الآتية:

١- ما مفهوم التربية بالتسليم لله تعالى، وما درجاتها، وما تأصيلها في الكتاب والسنة؟

٢- ما تطبيقات التربية بالتسليم لله في الإسلام؟

٣- ما قواعد ضمان فاعلية التربية بالتسليم لله؟

٤- ما آثار التربية بالتسليم لله في حياة المسلم؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في:

- أهمية موضوع البحث، فالتربية بالتسليم لله من أهم مبادئ التربية التي لا بد من دراستها، فعلى الرغم من وفرة الدراسات التربوية الشرعية في نطاق الحديث عن العقل والتفكير، لم يتم التعرض لهذا الأصل العظيم في دراسة سابقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كون هذا المبدأ مرتكز على تقديم الانقياد للنص الشرعي، الذي يمنح الفرد القدرة على الإنجاز والإبداع، في حدود أوقاته ووسائله وأدواته.

- أهمية الآثار التربوية لتربية التسليم لله في حياة المسلم، بما قد يسهم في تحقيق فائدة مرجوة للفرد والمجتمع. وذلك بتحقيق الشعور بالرضا التام والاقتناع بكل ما يقوم به الإنسان، وبالتالي الوصول إلى الأمن والاستقرار والوحدة والائتلاف.

أهداف البحث:

١- بيان مفهوم التربية بالتسليم لله تعالى ودرجاتها وتأصيلها في الكتاب والسنة.

٢- توضيح تطبيقات التربية بالتسليم لله في الإسلام.

٣- تحديد قواعد ضمان فاعلية التربية بالتسليم لله.
٤- بيان آثار التربية بالتسليم لله في حياة المسلم.

منهج البحث:

تستند هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث ستقوم الباحثتان باستقراء الشواهد التي تؤصّل لتربية التسليم لله وتبين تطبيقاتها العملية في حياة المسلم، مع تحليل تلك الشواهد واستخلاص النتائج والآثار التربوية المترتبة عليها وفق المنهجية العلمية.

الدراسات السابقة:

لم تجد الباحثتان في حدود اطلاعهما على الكتب والدراسات المتعلقة بالموضوع كتاباً مفرداً يبحث في التربية بالتسليم لله وأثره في حياة المسلم ولا بحثاً مستقلاً، ولكن وُجدت بعض الكتب ذات الصلة بموضوع التسليم للنص الشرعي، ومن هذه الكتب:

- **كتاب التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، لمؤلفه فهد بن صالح العجلان[١]، وقد هدف الكتاب إلى بيان وظيفة العقل ومكانته في النص الشرعي، وحدد مجالات تسليم العقل للنص الشرعي، وحذر من الانحراف بالعقل عن التسليم للنص الشرعي، وأفرد فصولاً في المعارضات الفكرية، كالتسليم للواقع والمعارضة بالمقاصد، والمعارضة الفقهية بالخلاف الفقهي، وخلص الكتاب إلى أن ضغط المفاهيم الوافدة يؤثر على تسليم المؤمن للأحكام والنصوص، ويهون من شأن إنكارها أو تأويلها، وأن تعظيم الفتيا سبيل عظيم لتعزيز التسليم في النفوس، وضمان لقطع الوسائل التي تضعفه.**
- **كتاب تهذيب التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، لمؤلفته جميلة بنت عيادة الشمري[٢]، وأصل هذه الكتاب هو كتاب فهد بن صالح العجلان، تناول فيه قضية التسليم للنص الشرعي باتباعه، سواء كان من الكتاب أو من السنة، وسواء كان قطعيًا في ثبوته أم ظنيًا؛ لأنه الضمان من أي انحراف أو زيغ أو بعد عن الهدى.**
- **كتاب الرضا عن الله بقضائه والتسليم بقدره، لمؤلفه ابن أبي الدنيا [٣]، ذكر فيه المؤلف الأحاديث، وأقوال الصحابة والتابعين، وحكايات الصالحين الراضين بقضاء الله، بطريقته المثلى، وأكد على أن الرضا آخر التوكل، فمن**

---

[١] فهد بن صالح العجلان، التسليم للبص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، (٢٠١٥م).

[٢] جميلة بنت عيادة الشمري، تهذيب التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، (٢٠١٦م).

[٣] أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، الرضا عن الله بقضائه والتسليم بأمره، (١٩٩٠م).

رسخ قدميه في التوكل والتسليم لأمره فتمكن من أسبابه وغرس شجرته، اجتنى ثمرة الرضا.

تعقيب على الدراسات السابقة وموقع البحث الحالي منها:

أكدت الدراسات السابقة على الجانب العقدي أو على الجانب التشريعي لأصل التسليم لله تعالى، غير أن أياً منها لم يتعرض للجانب التربوي للموضوع وآثاره على حياة المسلم، لذا انفرد البحث الحالي في البنية التربوية لموضوع التربية بالتسليم لله تعالى وأثره في حياة المسلم، مروراً ببيان مفهومه وتأصيله في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكذلك في تطبيقاته العملية في الأحكام الشرعية، وإدراك أهم قواعد ضمان فاعليتها، وصولاً إلى أهميتها في بناء الشخصية الإسلامية السوية الفردية والجماعية.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة، وأربعة مباحث بمطالبها، وخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات، وسيتم عرضه من خلال الآتي:

المبحث الأول

مفهوم التربية بالتسليم لله تعالى،

ودرجاتها، وتأصيلها في الكتاب والسنة.

يعد مفهوم التربية بالتسليم لله تعالى من المفاهيم المدمجة للجانبين التربوي والعقدي معاً، إذ لا بد من بيان دلالاته الاصطلاحية، وعرض التأصيل الشرعي للمصطلح، ومن ثم الإشارة إلى فضل هذا المفهوم الشرعي التربوي في تنشئة الأجيال، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

مفهوم التربية بالتسليم لله والمصطلحات ذات الصلة

الأصل اللغوي للكلمة (س، ل، م) الاستسلام والتسليم، وسلّم: انقاد ورضي بالحكم، وسلّم أمره لله وإليه أسلمه، والتسليم للأسير من غير حرب. [١] والتسليم الرضا والسلام. [٢]

والتسليم هو بذل الرضا بالحكم، والاستسلام والانقياد، ومنه قوله تعالى {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء: ٩٤]، والتسليم الرضا بما قدر الله وقضاه، والانقياد لأوامره وترك الاعتراض فيما لا يلائم، والتسليم، أي: التحية [٣]، والمستسلم لأمر الله المتوكل عليه، والصابر على ما يبتلى به العبد والطالب للشفاء من عنده، [٤] في حالة الابتلاء والمرض.

ويُخلص من سياق التعريفات اللغوية السابقة إلى الدلالة على معنى التسليم لله تعالى، وعلى المصطلحات ذات الصلة به التي تفسره وتشرحه؛ كالسلام والاستسلام والانقياد والرضا والتوكل والصبر.

ومن التعريفات الاصطلاحية لمفهوم التسليم، ما عرّفه الجرجاني، بأنه: "الانقياد لأمر الله تعالى، وترك الاعتراض فيما لا يلائم، واستقبال القضاء بالرضا. أو هو: الثبوت عند نزول البلاء من تغير في الظاهر والباطن". [٥]

والمقصود بالتسليم لله تعالى فيما أنزل: "اتباع الدليل من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - سواءً كان قطعياً أو ظنياً، أو سلوك المنهج الصحيح في فهم وتفسير دلائل الكتاب والسنة". [١]

---

[١] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ٤٤٦/١ (دون تاريخ)، مادة (س، ل، م).
[٢] محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط ١٤٤٨ (دون تاريخ)، مادة (س، ل، م).
[٣] محمد بن محمد أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ٣٧٣/٣٢، ٣٨٤ (دون تاريخ)، مادة (س، ل، م).
[٤] محمد بن بكر بن منظور الافريقي، لسان العرب٢٨٩/١٢ (دون تاريخ)، مادة (س، ل، م).
[٥] علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات٨٠ (١٤٠٥ه).

يقول الغزالي - رحمه الله-: "التسليم عام في القلب واللسان والجوارح، فإن كان تصديقاً بالقلب؛ فهو تسليم وترك الإباء والجحود، وكذلك الاعتراف باللسان، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح".[٢]

ومن التعريفات: "الخلاص من شبهة تعارض الخبر، أو شهوة تعارض الأمر، أو إرادة تعارض الإخلاص، أو اعتراض يعارض الشرع والقدر" [٣].

فمن خلال ما سبق من تعريفات يظهر أن مفهوم التسليم لله تعالى يتمحور حول العناصر الآتية:

الأول: الانقياد لأوامر الله ونواهيه وطاعته واتباعه في كل ما شرع، وهو التسليم لما جاء في الكتاب والسنة.

الثاني: الرضا بالأقدار والابتلاءات المقضية من عند الله تعالى، وهو التسليم لقدر الله وقضاءه.

الثالث: التغلب على الشبهات والشهوات التي تعارض أصل التسليم.

وهذه العناصر لا تنفصل عن بعضها البعض في العملية التربوية، وتتكامل في الدور التربوي لمعاني التسليم لله تعالى، ولا بد من اجتماع وجودها معاً لتحقيق هذا الأصل العظيم.

وعليه، فإن التربية بالتسليم لله تعالى تعني في هذا البحث تعني: تنشئة الفرد المسلم على فهم المرجعية الشرعية ومرادها ومقاصدها، ثم تقديمها وتفعيلها في شؤونه كلها، وذلك بالانقياد والطاعة والرضا والقبول؛ بما يحقق صلاح المسلم واستقامته وتوازنه في حياته الدنيا ومعاده.

المطلب الثاني

درجات التربية بالتسليم لله تعالى

درجات التسليم لله ثلاث، هي[٤]:

الأولى: تسليم ما يزاحم العقول، فإن التسليم يقتضي ما ينهى عنه العقل ويزاحمه، فإنه يقتضي التجريد عن الأسباب، والعقل يأمر بها، فصاحب التسليم يسلم إلى الله عزَّ وجلَّ ما هو غيب عن العبد، فإذا سلم لله لم يلتفت إلى السبب في كل ما غاب عنه.

والأوهام يسبق عليها أن ما غاب عنها من الحكم لا يحصل إلا بالأسباب، والتسليم يقتضي التجرد عنها، والعقل ينهى عن ذلك.

---

[١] فهد بن صالح العجلان، التسليم للبص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة ١٤ (٢٠١٥م).

[٢] محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ١١٦/١ (دون تاريخ).

[٣] محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب ٢٠٥٥/٢ (دون تاريخ).

[٤] محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب ٢٠٥٦/٢ (دون تاريخ).

والتسليم ضد المنازعة، وتكون المنازعة إما بشبهة فاسدة تعارض الإيمان، وإما بشهوة تعارض أمر الله عزَّ وجلَّ، أو إرادة تعارض مراد الله من عبده، أو اعتراض يعارض حكمته في خلقه وأمره، بأن يظن أن مقتضى الحكمة خلاف ما شرع، وخلاف ما قضى وقدر، فالتسليم التخلص من هذه المنازعات.

الثانية: تسليم العلم إلى الحال، بأن ينتقل من صورة العلم إلى المعاني والحقائق، فينتقل من العلم إلى اليقين، ومن اليقين إلى عين اليقين، ومن علم الإيمان إلى ذوق طعم الإيمان وحلاوته، ومن علم التوكل إلى حاله وهكذا.

الثالثة: تسليم ما دون الحق إلى الحق، مع السلامة من رؤية التسليم، فالحق سبحانه هو الذي سلم إلى نفسه ما دونه، فالحق سبحانه هو الذي سلمك إليه، فهو المسلِّم والمسلَّم إليه، وأنت آلة التسليم، فمن شهد هذا المشهد العظيم وجد نفسه مسلِّمة إلى الحق، وما سلَّمها إلى الحق غير الحق، فقد سلم العبد من دعوى التسليم ورؤية التسليم.

وفي الإطار التربوي فإن المربي يفيد من ذلك في منهجه من خلال تحقيق تربية التسليم لله تعالى عبر خطوات ثلاث هي:

الخطوة الأولى: وهذه هي الخطوة الأساسية حيث يقوم المربي على تحديد المجالات التي ينبغي للعقل الخوض بها وتربية المسلم على ضبطها وفقاً لضوابط الشرع، وذلك بإقصاء أمور عن مجال التفكير الإنساني، حتى يدور العقل في فلم الشرع، وفي هذا احترام كبير له، وهي :

١. عالم الغيب، فالتسليم لله تعالى في كل ما غاب عن الفرد لأنه علام الغيوب.
٢. عالم الخرافات والأوهام، فليست مبنية على أسباب واقعية.
٣. عالم الشهوات، بالرجوع إلى ضوابط الشريعة لشهوات الفرد بالتزام أوامر الله ونواهيه وتغليب مراده تعالى.
٤. عالم الشبهات، بالرجوع إلى الفهم الصحيح، ونبذ الاعتراض والأفكار الفاسدة التي تعارض مراد الله وأحكامه.

الخطوة الثانية: تفعيل التسليم لله في حياة الفرد وذلك بالانتقال من عالم التنظير إلى عالم التطبيق، فبعد التأسيس يأتي التفعيل في عالم الواقع، فانتقال أثر التسليم لله تعالى من رضا وتوكل - وهي عقائد ثابتة في قلب المؤمن- إلى حيز الوجود، بحيث يتمثل سلوكاً ايجابياً ثابتاً في شخصية المسلم.

الخطوة الثالثة: التسليم الى الخالق شرف ورفعة ورقي للبشر ولعقولهم، وليس حرمان وتقليد، وهذا الفهم حري بكل مسلم أن يتمسك به.

المطلب الثالث

تأصيل التربية بالتسليم لله تعالى وحضوره في النصوص الشرعية

لا بد من عرض نماذج لتأصيل مبدأ التربية بالتسليم في الشريعة الإسلامية، من خلال المصادر الأصلية في القرآن الكريم والسنة الشريفة، مذيلة ببعض آراء العلماء وأقوالهم وتوجيهاتهم، مع التركيز على الجانب التربوي الذي يغرسه النص الشرعي، كما في الأمثلة التالية:

أولاً: نماذج من القرآن الكريم للتربية بالتسليم لله:

عرض القرآن الكريم لهذا الأصل التربوي، في جملة من النصوص الشرعية الواردة في الحث عليه، على صورتين:

الصورة العامة: وذلك من خلال الآيات الكريمة الداعية إلى التحلي به والتزامه سلوكاً في حياة المسلمين، ويمكن أن يظهر ذلك من خلال موضعين على سبيل المثال:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٢٢]، ووجه الدلالة في النص هو التسليم الذي أقر به المؤمنين، وقد بين ابن عاشور ذلك بقوله: "والتسليم هنا الانقياد والطاعة؛ لأن ذلك تسليم النفس للمنقاد إليه، وهنا تسليم أنفسهم لملاقاة عدوٍ شديدٍ دون أن يطلبوا الالقاء بأيديهم إلى العدو، فهذا موقف المسلمين في تلك الشدة وهذا تسليم أنفسهم للقتال".[1] وهذه الآية تتضمن المعنى الأول لمعاني التسليم لله الذي سبق تقريره؛ وهو الرضا بأمر الله وقدره ووعده.

والموضع الثاني: في قوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]، ووجه الدلالة في هذه الآية هو التسليم لما جاء في الكتاب والسنة، والانقياد لأوامر الله تعالى ونواهيه، وطاعته واتباعه في كل ما شرع. وفي ذلك قال السعدي: "ويسلموا لحكمه تسليماً بانشراح صدرٍ، وطمأنينة نفسٍ، وانقياد بالظاهر والباطن، فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها"[2]،

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير٢٢٤/٢١، ٢٢٥ (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٨٤/١ (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

كما يظهر من خلال القول السابق، أن تربية المسلم إنما تكون متدرجة لتصل به إلى مستوىً إيماني عالي، يقتضي الطاعة والرضا بأمر الله تعالى باستسلام ومحبة.

وفي قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٣٦]، قال السعدي: "لا ينبغي ولا يليق ممن اتصف بالإيمان إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجاباً بينه وبين أمر الله"[1]، وهذا التسليم لأمر الله تعالى، هو ما يجب أن يربى عليه المسلم وينشّئ في حياته.

الصورة الخاصة: في الحديث عن أخبار بعض المؤمنين المتقين في رضاهم عن الله تعالى، والانصياع لأوامره ونواهيه الواردة في النص الشرعي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

الموضع الأول: قوله تعالى في قصة سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام-: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات: ١٠٣]، "ووجه الدلالة هنا قوله تعالى (أسلما)، أي استسلم وانقياد لأمر الله، وقد ذكر الألوسي في تفسيره: "فلما أسلما أي: استسلما وانقادا لأمر الله تعالى، وفوضا إليه تعالى في قضاءه وقدره، وقد قال قبل ذلك: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين على قضاء الله تعالى ذبحاً كان أم غيره".[2]

الموضع الثاني: قصة أم موسى عليها السلام، وتسليمها لله عز وجل فيما أمر من وضع سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام- في اليّم، ووعد الله تعالى لها برده إليها، في قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٧]، وفي قوله عز وجل: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص: ١٠]، ووجه الدلالة واضح من تنفيذ أم موسى لأمر الله مع صعوبة هذا الأمر، وهذا يدل على إيمان عميق ويقين بحكمة الله، وقد جاء في البحر المحيط: "ولا تحزني لمفارقتك إياه، إنا رادّوه إليك وعد صادق يسكن قلبها ويبشرها بحياته وجعله رسولاً، وقد صار بعد ذلك فارغاً من العقل لولا أن ربط الله على قلبها بالإيمان

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦٦٥/١ (١٤٢٠ه-٢٠٠٠م).

[2] شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٢٤/١٢ (١٤١٥ه).

واليقين بوعد الله.[1]، فهذا الاستسلام لأمر الله استسلام المؤمن الموقن بالخير الذي في يد الله تعالى.

ثانياً: نماذج من السنة النبوية للتربية بالتسليم لله:

ورد في السنة المطهرة نماذج كثيرة تربي المسلم على مبدأ التسليم لله والرضا عنه في قضاءه وقدره، والأخذ بأمره ونهيه بانقياد وحب وطاعة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

بوّب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، قول الإمام الزهري رحمه الله: "مِنَ الله الرسالة، وعلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البلاغ، وعلينا التسليم"[2] ومنها:

- **المثال الأول: عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (أنه جاء على الحجر الأسود فقبّله، فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقبّلك ما قبّلتك). [3]**

قال ابن حجر رحمه الله: "وفي قول عمر هذا؛ التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه". [4]

- **المثال الثاني: في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: (قال رجل: لأتصدّقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون تُصُدّق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على سارق!). [5]**

قال ابن حجر - رحمه الله-: "فيه بركة التسليم والرضا وذم التضجر بالقضاء"[6] دلالة على لزوم التسليم بقضاء الله تعالى.

- **المثال الثالث: عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (...وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا**

---

[1] محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ٢٧٨/٨ (١٤٢٠ه).

[2] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح ١٨٩/٩ (١٤٠٧ه-١٩٨٧م)، كتاب: بدء الوحي، باب: قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧].

[3] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح ١٨٣/١، كتاب: بدء الوحي، باب: ما ذكر في الحجر الأسود، حديث (١٥٩٧).

[4] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٦٣/٣(١٣٧٩ه).

[5]البخاري، الجامع الصحيح ١٣٨/٢، كتاب بدء الوحي، باب: إذا تصدق على غني وهو لا يعلم، حديث (١٤٢١).

[6] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٩١/٣(١٣٧٩ه).

وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)[1]. ودلالة الحديث: "إن الذي يتعين بعد وقوع المقدور، التسليم لأمر الله والرضا بما قدر، والاعراض عن الالتفات لما فات، فإنه إذا فكر فيما فاته من ذلك، فقال: لو أني فعلت كذا لكان كذا، جاءته وساوس الشيطان فلا تزال فيه حتى يفضي إلى الخسران؛ فيعارض بتوهم التدبير سابق المقادير، وهذا هو عمل الشيطان المنهي عن تعاطي أسبابه، بقوله فلا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان".[2]

ويُلحظ من مجموع النصوص السابقة، نماذج من قصص الأنبياء وقصص السلف الصالح التي تثبت تطبيقهم لتربية التسليم لله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم-، والتي جنوا ثمارها في حياتهم في الدنيا والآخرة.

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح ٥٦/٨ (دون تاريخ)، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث (٦٩٤٥).

[2] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٢٨/١٣(١٣٧٩ه).

المبحث الثاني

نماذج من التطبيقات العملية على التربية بالتسليم لله تعالى

حتى تتضح حقيقة التربية بالتسليم لله عز وجل ونماذجها التطبيقية، لا بد من طرح نماذج من النظام الإسلامي عملت على تنشئة الأجيال المسلمة وفق إيمان الفرد وطاعته لله تعالى وتوازن علمه وعمله، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

التربية بالتسليم في قضايا العقائد

يعد التسليم فيما ورد عن الله تعالى من حقائق العقائد أحد الأصول التربوية المهمة التي لا بد أن تقوم في النفس الإنسانية بقوة وثبات؛ ليتحقق الإيمان الراسخ الذي لا يقبل الزعزعة والشك، ويؤسس لذلك قول الله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥].

لذلك اقتضى الحديث عن التطبيق التربوي للتسليم في قضايا العقائد تناولها من جانبين، يظهر هذا الأصل التربوي فيهما، وهما:

أولا: التسليم بحقائق العقيدة الواردة عن الله عز وجل:

تبرز تربوية مبدأ التسليم في حقائق العقيدة من خلال خاصية الغيبيّة، التي تعد أجلى وأهم خصائص عقيدتنا ويخضع للتجربة الحسية. [١]

وقد امتدح الله عز وجل المؤمنين القائمين على مبدأ التسليم لما يرد عن الله عز وجل من أمور الغيب إيماناً واذعاناً وانقياداً ورضىً، فقد قال عز وجل: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} [البقرة: ٣]، "وأصل الغيب: كل ما غاب عنك من شيء، ونقل عن جمع من أصحاب النبي عليه السلام والتابعين، أن المراد بالغيب -في الآية- ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار والبعث والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله"[٢].

---

[١] عثمان جمعة خيرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ٣٨٧ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

[٢] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ١٣٤/١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

ثانياً: التسليم بالقضاء والقدر:

إن القدر نظام التوحيد، وسرّ الله تعالى في خلقه، والتربية بالتسليم لله عز وجل تظهر فيه للعيان، لأن قدره تعالى خارج عن استطاعة الانسان وليس له فيه يد.

والتسليم لله تعالى في قدره واعتقاد الحكمة والمصلحة العليا للإنسان في قضاءه؛ هي مرتبة التسليم التي ينبغي للعبد الإيمان بها واعتقادها؛ لأن الله عز وجل هو خالق العباد وهو أعلم بما يصلحهم ويقضي ما فيه مصلحتهم، فقد قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦]،

"والأصل هو وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول ولا يفهمه أكثر الناس وقد لا يفهمونه كلهم كالقدر"[١].

وقد أشار ابن القيم إلى حال تطبيق الفرد وتسليمه للقدر بقوله: "أن يعرف العبد عزته في قضائه، فهو سبحانه العزيز الذي يقضي بما يشاء، وأنه لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه، بأن قلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء، وحال بين العبد وقلبه، فإذا عرف العبد عز سيده ولاحظه بقلبه، وتمكن شهوده منه، كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأنفع له، لأنه يصير مع الله لا مع نفسه. ومن شهود عزته أيضا في قضائه: أن يشهد أن الكمال والحمد، والغناء التام، والعزة كلها لله، وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم، والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره، ازداد شهوده لعزة الله وكماله، وحمده وغناه، وكذلك بالعكس، فنقص الذنب وذلته يطلعه على مشهد العزة."[٢]

المطلب الثاني

التربية بالتسليم في قضايا الشرائع والأحكام

يشير قوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]. إلى الحل الضامن لإنهاء حالات الجدل والإعراض على نصوص الكتاب والسنة، وعدم الانقياد لأوامر الله تعالى ونواهيه، وإثارة الشبهات حول الأحكام الشرعية، والاقتصار في التطبيق على الأمور التعبدية فقط.

---

[١] محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ١٤٦/٢ (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م).

[٢] محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢٢٢/١ (١٣٩٣ه – ١٩٧٣م).

والناس في فهم التسليم للأوامر والنواهي أصناف، فمنهم من يتحرج من تقرير مفهوم العلة والغاية والقصد ويحسب أن هذا يتعارض مع واجب المسلم في التسليم للأوامر مقطوعة عن غاياتها وحكمتها، ومنهم من يبحث عن العلة والحكمة ويقرن التطبيق بوجوب إيجاد الحكمة، وكلاهما قد أخطأ؛ إذ إن العبادة حق الله على عباده وواجبهم أن يعبدوه بما شرع بلا زيادة ولا نقصان ولا قياس تعبداً وخضوعاً. أما إذا تعلق الأمر بإقامة مصالح الدنيا ومعايش الناس فلا بد من اعتبار المعنى والنظر إلى مقاصد التشريع. وقد قرر العلماء أن الأوامر الشرعية التي تتعلق بمصالح الدنيا والتي لا يفهم ارتباطها بالمصالح والمقاصد نادر ولا بد إن وجد من الاقتصار على حدود المنصوص فيه تعبداً بلا تعدية ولا زيادة. [1]

ويقول سيد قطب: " الإسلام يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق ولكن وراءه حكمة تهون مشقته، وتسيغ مرارته، وتحقق به خيراً مخبوءً قد لا يراه النظر الإنساني القصير، عندئذ يفتح للنفس البشرية نافذة جديدة تطل منها على الأمر ويكشف لها عن زاوية أخرى غير التي تراه منها، نافذة تهب منها ريح رخية عندما تحيط الكروب بالنفس وتشق عليها الأمور، مَنْ يدري فلعل وراء المكروه خيراً، ووراء المحبوب شراً، إن العليم بالغايات البعيدة، المطلع على العواقب المستورة، هو الذي يعلم وحده، حيث لا يعلم الناس شيئا من الحقيقة، وعند ما تنسم تلك النسمة الرخية على النفس البشرية تهون المشقة، وتتفتح منافذ الرجاء، ويستروح القلب في الهاجرة، ويجنح إلى الطاعة والأداء في يقين وفي رضا" [2].

وقد ضرب الفقهاء مثالاً للتربية على التسليم لله أن الإسلام نهى عن النياحة، والاستماع إلى النياحة؛ ونهى عن الجمع عند صاحب الميت، وعن إطعام الناس آل الميت، وعن الإجابة إلى طعام الميت؛ ونهى أن يقعد الرجل في بيته للمصيبة ثم يؤتى فيعزى، فهذا كله معدود في صفحة النوح؛ لأن صاحب المصيبة أصابه حكم الله في ذلك الشيء، وخلص إلى النفس ما كرهت، واقتضاها إيمانه التسليم لله، والتعري من المنازعة مع الله في ذلك الشيء الذى استأثر به؛ فسلموا بقلوبهم، واسترجعوا بألسنتهم؛ اعترافاً بأن الملك لله، والمرجع إليه؛ فيرد إلينا ما أخذ منا وأضعافه[3].

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ٤٧ (١٩٩٨م).

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن ٢٢٣/١ (١٩٧٣م).

[3] محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، المنهيات ٨١/١ (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م).

ولا يصح من العبد مجرد التسليم مع إظهار ما يفيد عدم الرضا، أو التسليم مع عدم اليقين بالحكمة والقناعة فيها، فمعنى التسليم الذي تقتضيه التربية الإسلامية في سياقه هو الاستسلام للحكيم الخبير في اقضيته كلها مع الاعتقاد التام بوجود المصلحة والحكمة وإن لم يتبين للعبد في ساعتها، قال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} [الأنفال: ٢٤].

ففي قوله تعالى على لسان الخضر لموسى عليهما السلام: {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} [الكهف: ٦٧، ٦٨]، فقد ظهر كمال تربية القرآن للفرد في قصة موسى عليه السلام مع الخضر حين خرق السفينة وقتل الغلام وكانت صورتيهما صورة المنكر، وفي نفس الأمر لهما حكمة بينة، لكنها لا تظهر للخلق، فإذا أعلمهم الله تعالى بها علموها، ولهذا قال: وما فعلته عن أمري، ففيه أنواع أخر من الأصول والفروع[1]. قال ابن بطال: وفيه أصل وهو ما تعبد الله تعالى به خلقه من شريعته يجب أن يكون حجة على العقول ولا تكون العقول حجة عليه ألا ترى أن إنكار موسى كان صواباً في الظاهر وكان غير ملوم فيه، فلما بين الخضر وجه ذلك، صار الصواب الذي ظهر لموسى من إنكاره خطأ، والخطأ الذي ظهر له من فعل الخضر صواباً، وهذه حجة قاطعة في أنه يجب التسليم لله تعالى في دينه ولرسوله في سنته، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة فيه.[2].

وهنا الحجة الفصل التي يجب أن تعيها العقول المعاصرة، والتي فصلت المعارف والحقائق، فنادت بحرية الفكر والتفكير، واحترام العقل، وبالغت في ذلك حتى جعلت العقول حجة على الشرائع بل على العقائد كذلك، فضلت وأضلت، ولو عادت للمنهج الأصل وهو التسليم لله تعالى، ثم الخوض فيما أباح الله تعالى التفكير فيه والبحث عن علته، لكان خير لها وأنفع.

---

[1] محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ١٤٦/٢ (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م).

[2] ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٠٠/١ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).

المبحث الثالث

قواعد ضمان فاعلية التربية بالتسليم لله

التربية بالتسليم مبدأ قيمي متوازن يقوم على أسس وأصول ثابتة ينطلق منها، وتتضمن أيضاً جملة من الضوابط والمحددات التي تؤطر العمل به في سياقات الحياة اليومية للمسلم وفي محاور الالتزام بالنصوص الشرعية، ومن القواعد والمحددات اللازمة لضمان فاعلية التربية بالتسليم لله ما يأتي بيانه في المطالب الآتية:

المطلب الأول

القاعدة الأولى أن المرجعية الأولى في جميع أمور الفرد للنص الشرعي

يوقن المسلم بأنه خُلق للعبادة، وبأن جميع الأوامر والنواهي الشرعية ما وجدت إلا لتحقيق خيره وسعادته، لذا يتلقاها بالطاعة والاتباع، فقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٣٦]. كما قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]

فليس من شيء يتعلق بالإنسان أو الحياة يمكن بحثه بمعزل عن الدين، وأفعال العباد في مجموعها عبادة لله –هذا بمعناها الشامل- بالتالي فإن تربية الإنسان وسلوكاته محكومة ضمن هذا الإطار.

فالشريعة عامة في جميع المكلفين وجارية على مختلف أحوالهم سواءً في عالم الغيب أو عالم الشهادة، في الأعمال الظاهرة والباطنة على حدٍّ سواء [١].

وتربية المسلم منضبطة وفق هذا المنهج الشمولي، وهذا ينعكس على حياة المسلمين إيجاباً، فيستشعر المسلم أنه منقّدٌ لأوامر الله تعالى في جميع تصرفاته وما يطرأ عليها من مستجدات، الأمر الذي يتطلب توجيه أعماله وفق ما يُرضي الله، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [آل عمران: ١٠١]، وما ابتعاد الفرد عن هذا المنهج القويم في عصرنا إلا بسبب بناء أفعاله على الاجتهادات الذاتية والأهواء الشخصية واعتمادها على تجارب بشرية، فجاءت قاصرة وضيّقة الأفق وهذا ما يسبب الاختلافات والمنازعات التي يُعاني منها المجتمع والله المستعان.

---

(١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات ٢/٢٢٣ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

المطلب الثاني

القاعدة الثانية وهي ضرورة التفريق بين مسائل التوقيف والتوفيق

مسائل التوقيف هي الوقوف عند النصوص، وعدم تجاوزها عند أهل العلم، ويمكن إجمال الأسباب التي حملتهم على ذلك: تواتر النصوص الآمرة باتباع الكتاب والسنة ولزومهما، وثبوت كمال الدين وتمام تبليغ الرسالة، وحرمة القول على الله بغير علم[1].

ولا تعني وجود المسائل التوقيفية وقضية التسليم لله تعالى؛ أن يغفل المسلم مسائل الاجتهاد والتوفيق، بل عليه الاعتزاز بكلا النوعين، فقد جعل الله تعالى لكل نوع دوره وأثره في بناء شخصية الفرد، ولا يعني أن الإسلام يهمل مسائل العقل والتفكير، بل أعطاه أهميته وقدره لكن في حدود إمكاناته التي تبقيه يدور في فلك الشرع..

قال الأصبهاني: "وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم، وطلبهم الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه، وشكروا لله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجوده مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل"[2].

وترتكز مظاهر التوقيفية في منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد، وقطع النزاع حولها، فمن ذلك:

١ - الرد إلى الوحي عند النزاع، قال تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩]. وقال ابن تيمية: "ما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات، والقدر، والوعيد، والأسماء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -"[3].

٢- حبس اللسان عن الكلام في العقيدة إلا بدليلٍ هادٍ من الكتاب والسنة، واعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول ﷺ، قال

---

[1] محمد يسري، طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة ١/٢٠٥-٢٠٩ (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

[2] أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة ٢/ ٢٢٦ (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

[3] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٦٤، ٤٦٥ (٢٠٠٥م).

تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات: ١] .

٣- التسليم لله تعالى وللرسول ﷺ، من غير تعرض لنصوص الوحيين بتحريف أو تأويل، أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل، وترك نصب شرك التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل.

٤ - سد باب الابتداع والإحداث في الدين، ورد جميع ما خالف سنة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فمستند المشروعية فقط هو موافقة الشريعة المطهرة.

وحاصل الأمر أن تربية الجيل معتمدة على تحقيق مرتبة العبودية، وهي ضمان أكيد من الانزلاق في مطبات الشهوات، فتربية التسليم لله تؤسس أصل العبودية وتحققها في النفوس.

المطلب الثالث

القاعدة الثالثة تقتضي إدراك المعنى الدقيق لمقاصد الشريعة

المقاصد لغةً: جمع مقصِد وهو استقامة الطريق، أو الاعتماد، أو العدل، أو التوسط [١]. واصطلاحاً: "هي المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"[٢].

وقد وفق اللهُ أهلَ العلم والإيمان للفهم السليم الذي به تأتلف نصوص الكتاب والسنة وتتسق، على منهج علمي منضبط، مبني على التسليم لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - مستفيدين من فهوم العلماء الربانيين من سلفنا الصالح [٣].

ومقصود هذه القاعدة الضابطة أن على المربي أن يلحظ مبدأ الائتلاف والانسجام بين النصوص الشرعية، فلا يصح عمل العامل على نظام الأطراف، فعمله جهل، وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي: "من يأخذ الأدلة من أطراف العبارة الشرعية ولا ينظر بعضها ببعض، فيوشك أن يَزِلّ، وليس هذا من شأن الراسخين وإنما هو من شأن من استعجل طلبا للمخرج في دعواه"[٤].

وَقَالَ أيضًا: "ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض، فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامّها المرتب على خاصّها، ومطلقها

---

(١) محمد بن بكر بن منظور الافريقي، لسان العرب ٣٦٤٢/٥ (دون تاريخ).

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ١٧١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

(٣) انظر علي بن عبد الله بن شديد المطيري، إشكال وجوابه في حديث أم حرام بنت ملحان ٢٢ (١٤٢٥ه).

(٤) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الاعتصام ١/ ٢٢٣ (١٤٢٩ه-٢٠٠٨م).

المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر ببَيّنها، إلى ما سوى ذلك من مناحيها، ... - إلى أن قالَ - فشأن الراسخين: تصور الشريعة صورة واحدة، يخدم بعضها بعضًا كأعضاء الإنسان إذا صورت صورة مثمرة، وشأنُ متبعي المتشابهات أخذ دليلٍ مَا أيّ دليل كان عفوًا وأخذًا أوليًا وإنْ كان ثم ما يعارضه من كلي أو جزئي، فكأن العضو الواحد لا يعطى في مفهوم أحكام الشريعة حكمًا حقيقيًّا، فمتبعه متبع متشابه، ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ[1].

أما اختطاف الحكم من حديث عابر، وقراءة عجلى من غير مراعاة لما ورد في الموضوع من آثار أخرى، ومن دون تصفية وتنقية فليس من عمل العلماء الصادقين، فكثير ممن يتكلم على هذه المسائل لا يراعي هذه المقدمة مما يوقعه في أخطاء علمية، وعيوب منهجية، منها أن يتجاهل الباحث الأدلة المخالفة لرأيه سواء أكان ذلك بسبب إهماله أم تحيزه أم لأي سبب آخر [2].

وهذا المنهج هو أساس في الأصل التربوي لمعاني التسليم لله، الذي يجب أن تبنيه التربية في نفس المسلم من خلال تعامله مع نصوص الشريعة.

المطلب الرابع

القاعدة الرابعة وهي التفريق بين التسليم بقضاء الله ودفع أقدار الله بأقدار أحب إلى الله

التسليم لله نوعان: تسليم لحكم الله الديني الشرعي، وتسليم لحكم الله الكوني القدر، فأما الأول: فهو تسليم المؤمنين العارفين، وأما الثاني: فهو التسليم لحكم الله الكوني، وهي مسألة الرضا بالقضاء والقدر، والتسليم للقضاء يحمد إذا لم يؤمر العبد بمنازعته ودفعه، ولم يقدر على ذلك كالمصائب التي لا قدرة له على دفعها. وأما الأحكام والأحوال التي أمره الله بدفعها فلا يجوز له التسليم إليها، بل العبودية مدافعتها بأحكام أخر أحب إلى الله منها، كمدافعة قدر المرض بالعلاج، ومدافعة قدر الجوع بالطعام وهكذا. وليس في التسليم إلا علة واحدة، وهي أن لا يكون تسليمه صادراً عن محض الرضا والاختيار، بل يشوبه كره وانقباض، فيسلم على نوع إغماض. فهذه علة التسليم المؤثرة فاجتهد في الخلاص منها [3].

وصاحب هذا التسليم هو صاحب القلب السليم، الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى به، كما قال سبحانه: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)} [الشعراء: ٨٨،٨٩].

---

(1) الشاطبي، المرجع السابق ١/ ٢٤٥.
(2) شحاتة محمد صقر، الاختلاط بين الرجال والنساء ٣٢١/١، (٢٠١١ م)
(3) محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب ٢٠٥٥/٢.

المبحث الرابع

الآثار التربوية للتربية بالتسليم لله في حياة المسلم

إن ملاحظة آثار هذا الأصل العظيم القائم على التسليم لله عز وجل في كل شؤون الحياة، يستوجب إلقاء الضوء على هذا الأثر من خلال حياة المسلم في شخصيته الفردية، وفي سلوكاته الجماعية في المجتمع الذي يعيش فيه، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول

الأثر التربوي لتربية التسليم لله في شخصية الفرد

تبرز أهمية التسليم لله عز وجل فيما يرد عنه في حياة المسلم كمبدأ تربوي وأصل شرعي، يؤثر في عقيدته ويرسم خطوط سيره في حياته، ويغذي فيه الحاجات النفسية التي تحقق التوازن لشخصيته الإسلامية من خلال أمور، لعل أهمها:

أولاً: تبني التربية بالتسليم لله تعالى شخصية الفرد على تعظيم الله تعالى ومعرفته حق المعرفة وهي غاية الوجود الإنساني.

فما من حاجة للإنسان في حياته أكثر إلحاحاً وضرورةً من حاجته لمعرفة ربه، وكلما زاد الإنسان معرفة بالله تمام المعرفة ازداد حباً له وتعظيماً لخالقه، والتربية بالتسليم لله تعالى تزيد هذه المعرفة دقة وعمقاً، لأنها تستقل بدلالاتها وآثارها لتحصيل المعرفة الحقيقية بالله والتي تبعث انعكاسات سلوكية في نفس الفرد وسلوكه وتزيده تعظيماً وشكراً لخالقه وواهبه النعم.

فتربية المسلم على فهم أسماء الله وصفاته على الوجه الصحيح والتسليم لخالقه تحقق تمام معرفة العبد لربه وتعظيمه، فعلى سبيل المثال: تربية الفرد على فهم اسم الله تعالى "الملك الحق" يزيد الفرد معرفة بالله تعالى على الوجه الصحيح مما يتمثل تسليماً ورضا في سلوكه، يقول ابن القيم: "إن خلقه الإنسان في هذه الأطوار، وتنقله فيها طوراً بعد طور حتى بلغ نهايته يأبى أن يتركه سدى، فإنه ينزه عن ذلك كما ينزه عن العبث والعيب والنقص"[1]. وهذه طريقة القرآن في غير موضع كما قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]

---

(1) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، التبيان في اقسام القران ١٦١، ١٦٢ (دون تاريخ).

ثانياً: تربية التسليم لله تجعل الفرد في خوف من الله تعالى لإحاطته الكاملة بهذا الكون.

يقول الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١١٥]، فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ أي جهته التي أمر بها فإن إمكان التولية لا يختص بمسجد أو مكان. أو فَثَمَّ ذاته: أي هو عالم مطلع بما يفعل فيه إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ بإحاطته بالأشياء. أو برحمته يريد التوسعة على عباده عَلِيمٌ بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن[١].

وكذلك تربيه على عدم الخوف من فوات أمور الدنيا العاجلة والآجلة، حيث يربي فيه شعور العزة والإباء والاقدام والعمل، وينشئ جيلاً لا يخاف على حاضره ومستقبله، وخصوصا في ظل حال الأمة اليوم، والأثر الذي يتركه في نفس الفرد، يقول ابن القيم: "والذي يحسم مادة الخوف التسليم لله؛ فإن من سلّم لله واستسلم له، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه، وعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، لم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع، أيضا: فإن نفسه التي يخاف عليه قد سلّمها إلى وليها ومولاها، وعلم أنه لا يصيبها إلا ما كتب لها، وأن ما كتب لها لا بد أن يصيبها فلا معنى للخوف من غير الله بوجهٍ، وفي التسليم أيضا فائدة لطيفة، وهي أنه إذا سلّمها الله فقد أودعها عنده، وأحرزها في حرزه، وجعلها تحت كنفه حيث لا تنالها يد عدو عادٍ ولا بغي باغٍ".[٢]

ثالثاً: تربية المسلم على الحرص على تعاهد قلبه، وثباته في وجه المصائب والمحن.

وفي الحرص على طاعة الله والثبات على منهجه، والبعد عن الاغترار بالنفس والاتكال عليها، والاتصال بالله تعالى وتقوية إيمانه في سبيل تحقيق الثبات واليقين، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - يكثر من الدعاء، (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، فقلت يا رسول الله: آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبهما كما يشاء).[٣]

---

(١) البيضاوي، انوار التنزيل ١/ ١٠٢.

(٢) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ٣١/٢، (١٩٧٣م).

(٣) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي ٤٤٨/٤، كتاب: القدر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، حديث (٢١٤٠)، قال الألباني: صحيح.

فالمسلم بحاجة إلى أن يربي نفسه على هذا الأصل الشرعي العظيم، وعليه بذل الوسائل التي تعمقه في نفسه ومنها، القراءة في سير النبي - صلى الله عليه وسلم - والتابعين ممن انقادوا لله ورسوله وساروا على سنته، ومن خلال مداومة النظر في الكتاب والسنة وفهم معانيهما ودلالاتهما الإيمانية التربوية.

رابعاً: تربية المسلم على اتباع أوامر الله تعالى ونواهيه.

وتعميق هذا المبدأ التربوي إيمانياً في نفسه، فهو" ليس مجرد الإيمان بأن القرآن كلام الله، وبحجية سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -، الذي يتفق عليه عموم المسلمين، بل هو التزام وانقياد يتبع كمال الإيمان، فكلما زادت في قلب المؤمن الخشية والتعظيم واليقين زاد تسليمه، وكلما ضعفت ضعف تسليمه، وإن لم يخرج عن أصل التسليم" [1].

وتبرز الحاجة إلى تفعيل هذا الأصل التربوي في زماننا الآن، حيث بات الابتعاد عن منهج الله عز وجل، والاعراض عن أحكامه وضعف الاخذ بها، هو السمة العامة لسلوك المسلمين في شتى مناحي الحياة، فأصبحت الشهوات والشبهات أعظم منه في نفوس كثير من المسلمين، والله عز وجل يقول: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور: ٥١]، وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٣٦].

خامساً: تربية المسلم على التسليم لله عز وجل في كل شؤونه وحسن الظن به.

وهذا يبعده عن الجزع فيما يحل عليه من مصائب ونوائب الدهر، لأن الجزع يؤذي القلب بلا فائدة، وفيه سخط الرب عز وجل، وعليه أن يحرص على التماس الخير والنعمة المبطنة التي أودعها الله تعالى في الشدائد، قال تعالى: {فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩].

سادساً: يربي المسلم على قيمة الصبر والرضا عن الله تعالى في قضاءه وفي أحكامه فيما شرع.

يقول ابن القيم: "والصبر على ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله، فالأوّلان: صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث: صبر على ما لا كسب للعبد فيه" [2].

---

[1] فهد العجلان، التسليم للنص الشرعي ٨.

[2] محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ١١٦/٢.

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال لابنه: (يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان؛ حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك). [1]

سابعاً: تربي المسلم على العمل والاقدام والجد والاجتهاد.

فالمسلم الصادق يبذل جهده ويقدم ولا يخشى، اعتقاداً بأن ما يصيبه من خير أو شر معقود بإرادة الله، وأن الله ناصر له ومعين، قال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: (وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) [2].

ثامناً: تعمل على تهذيب النفس وإصلاحها والتخلص من قيود الهوى والشهوات.

من وسائل تهذيب النفس وإصلاحها والتخلص من قيود الهوى والشهوات، تربيتها على التسليم لله تعالى ولقضائه. يقول ابن القيم: "وخالق الداء والدواء، ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه، وقد علم أن الأرواح متى قويت، وقويت النفس والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه، وفرحت بقربها من بارئها، وأنسها به، وحبها له، وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه، وجمعها عليه، واستعانتها به، وتوكلها عليه، أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية، وأن توجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية، ولا ينكر هذا إلا أجهل الناس، وأغلظهم حجاباً، وأكثفهم نفساً، وأبعدهم عن الله وعن حقيقة الإنسانية[3].

فتسليم الفرد لحكم ربه سبيل الى تنمية يقينه أن الذنب لا يخلو من عقوبة ولكنها قد تتأخر بحكمة من الله، فليحذر وليسارع في الإصلاح، وتسليم الفرد لله تعالى موجب للمراقبة الذاتية لأنه تعالى عليم بالمقاصد والنيات، والله تعالى محيط بكل

---

[1] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود ٣٦٢/٤ (دون تاريخ)، كتاب: السنة، باب: في القدر، حديث (٤٧٠٢).

[2] محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي ٦٦٧/٤، كتاب: القدر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، باب: ٥٩، حديث (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

[3] محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ١١/٤.

شيء علماً، فقد قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤].

تاسعاً: التربية بالتسليم لله تعلى تنمي الجوانب التعليمية والمعرفية في سياقات المنهج العلمي الصحيح.

فلا بد أن يعتني المربون بتعظيم الوحيين في نفوس المتعلمين في العمليات التربوية، فالبناء العقيدي والإيماني يمثل الحصانة والمناعة الفكرية اتجاه كل ما يمكن ان يؤثر عليهم من الغزو الثقافي الذي يؤثر على معاني التسليم.

وذلك من خلال تنمية مهارات التفكير الناقد، والعقل الناقد لديهم؛ بحيث يميزون بين التبعية الثقافية وبين الاقتباس النافع مع الاعتزاز بالدين والعقيدة والعادات الصحيحة للصمود أمام المد الفكري الغربي.

المطلب الثاني

الأثر التربوي لتربية التسليم في شخصية الأمة والمجتمع

إذا استقر في نفوس أبنائنا وبناتنا بأن الإسلام هو الاستسلام لشرع الله تعالى ولأوامره تعالى وتعظيم أمره، وتعمق معنى التسليم في نفوسهم، ينعكس هذا ايجاباً على المجتمع ككل، فتظهر الآثار الإيجابية فيه، ومن ذلك:

أولاً: تربية التسليم لله تعمل على حسم الخلافات والعصبيات في المجتمع المسلم.

كثير من الإشكالات التي تورد على الأحاديث الصحيحة إنّما هي إشكالات تعرض نتيجة لضعفِ التسليم لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -، أو لقلة العلم، أو لضعف الديانة، أو لنصرة مذهب وقول، وكلما بعد الزمان أثيرت شبهات وإشكالات متوهمة لم تكن عند السلف الصالح وهذا مصداق لقوله - صلى الله عليه وسلم - : (إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[1]، وقد كان العلماء السابقون يقرأون الأحاديث الصحيحة ولا يقفون عندها لقوة التسليم لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -، ومتانة العلم والبصيرة، وقوة الديانة وصلابتها، وسلامة الفطر، قالَ تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور: ٤٠]، نسأل الله أن يرزقنا نورا يملأ قلوبنا يقينا وتسليماً[2].

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (١/ ٥٠ رقم١٠٠).

[2] أبو عمر علي بن عبد الله بن شديد الصياح المطيري، إشكال وجوابه في حديث أم حرام بنت ملحان ٨٣/١، (١٤٢٥ هـ).

ويؤكد ابن بطال على وجوب التسليم لله في دينه، ولرسوله في سنته، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة في شيء من ذلك، فإن ذلك محنة من الله لعباده، واختبار لهم ليتم البلوى عليهم. ولمخالفة هذا ضل أهل البدع حين حكّموا عقولهم وردوا إليها ما جهلوه من معاني القدر وشبهه، وهذا خطأ منهم، لأن عقول العباد لها نهاية، وعلم الله لا نهاية له[1].

وحتى نصل إلى هذه النتيجة لا بد من تربية الجيل على أولوية الرجوع إلى المصادر الموثوقة من كتب العلماء الربانيين، حتى لا يقعوا في مزالق أصحاب الأفكار الشاذة البعيدة كل البعد عن مفهوم مبدأ التسليم، بالإضافة إلى تمكين أبنائنا وبناتنا من قواعد التلقي والاستدلال بحث يتعرفون على دين الله من خلال النظر في القرآن والسنة، وعدم سماع أهل الشبهات الذين يدّعون استخدام العقل واستقلاليته ليصرف الناس إلى شبهاته، وهذا مزلق خطير يورث الخلافات والعصبيات بين أفراد الأمة.

ثانياً: تحقق التربية بالتسليم لله الوحدة واجتماع القلوب.

حيث أنها سبب لوجود الألفة، واجتماع القلوب، وزوال الخلاف المذموم، الذي ينشأ عنه الافتراق والاقتتال، وعدم فهمه سبب لوجود الخلاف والشقاق[2].

فمن ثمرات تربية التسليم لله أنها ضمانة لتوحيد كلمة الأمة على منهج واحد، عندما تلتقي على هذا الوحي الإلهي بما فيه من موازين لا تضطرب، ولا تتأرجح ولا تتأثر بالهوى والدوافع الذاتية، وفي ذلك قال الأصبهاني: "وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف"[3].

وقال أيضاً: "ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على

---

(1) أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال، شرح صحيح البخارى١/٢٠٠، (٢٠٠٣م).

(2) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات٤/ ١٤٧، (١٩٩٧م).

(3) أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ٢/ ٢٢٦(١٩٩٩م).

ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد [1].

ثالثاً: تربية الذوق السليم والسمو في التعامل مع النصوص والآخرين.

نجد في تربية المسلم بالتسليم لله منهجاً متكاملاً من الأسس التي إن طبقها أفراد المجتمع في التعامل مع بعضهم البعض كانت لهم تربية كاملة في أدبيات التعامل والذوق الرفيع، وهذه التربية مرتبطة بالشخصية المثالية، إذ لا بد للشخصية الإنسانية من تكامل البعد الذاتي مع البعد الاجتماعي فيها، ومن علامات الذوق والسمو في التعامل مع الآخرين التي تبنيها تربية التسليم لله تعالى:

١. أمة لا تقدم بين يدي الله ورسوله، وترضى بالشرع حكماً أمة راقية ذات ذوق سليم.
٢. مجتمع يسوده الطمأنينة لحكم الله تعالى، قال تعالى: {وَلَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]، علامة واضحة لمجتمع سليم.
٣. أمة تعظيم الأوامر والنواهي، {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤]، وتتلقي التكاليف الشرعية بالتسليم، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب: ٣٦].
٤. أمة لا تثير الشبهات حول الأحكام، وتقدم النقل والنص على العقل، ولا ترد الأحاديث الصحيحة إذا لم توافق العقل، فالعقل قاصر، والعقل غير منضبط عند الأشخاص.
٥. مجتمع ينبذ أصحاب الشبهات الذين يتجرؤون على النص الثابت ويخضعونه للتصويت.
٦. مجتمع لا يتراجع عن النص والوحي تحت ضغط الواقع، أو ينساقون للمصالح والمنافع الدنيوية بحجة أن العصر يستوجب التخلي عن الأحكام.
٧. أمة ترفض الاعتراض على الحدود الشرعية، ومناقشتها في المحاكم الدولية، {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام: ٥٧]، {وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ} [الرعد: ٤١].
٨. مجتمع لا يلجأ إلى الرخص والبحث عن بدائل وخيارات تناسب الجميع وجدليات لا تنتهي.

---

[1] الأصبهاني، المرجع السابق ٢/ ٢٢٥.

الخاتمة

توصلت الباحثتان من خلال دراسة التربية بالتسليم لله تعالى وأثره في حياة المسلم إلى النتائج الآتية:

أولاً: إن التربية بالتسليم لله تعالى تعني تنشئة الفرد المسلم على فهم المرجعية الشرعية ومرادها ومقاصدها وتقديمها وتفعيلها في شؤونه كلها، وذلك بالانقياد والطاعة والرضا والقبول، وهذا لا يعني تعطيل العقل، وإنما تفعيله في فهم النصوص الشرعية، وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وتعلم التفكير الناقد وحل المشكلات.

ثانياً: ضرورة تحديد القواعد اللازمة لضمان فاعلية هذه التربية في حياة المسلم، كقاعدة المرجعية الأولى للنص الشرعي، وقاعدة التفريق بين مسائل التوقيف ومسائل التوفيق، وإدراك المعنى الدقيق لمقاصد الشريعة التفريق بين التسليم بقضاء الله ودفع أقدار الله بأقدار أحب إلى الله تعالى.

ثالثاً: خلص البحث إلى جملة من الآثار التربوية التي تشكل شخصية الفرد الإيجابية، شخصية تعظم الله وأحكامه، وتحرص على تعاهد القلب، وثباته في وجه المصائب والمحن، وتربية المسلم على قيمة الصبر والرضا عن الله تعالى في قضاءه وفي أحكامه فيما شرع، وعلى العمل والاقدام والجد والاجتهاد، وعلى تهذيب النفس وإصلاحها والتخلص من قيود الهوى والشهوات. وكذلك تربية شخصية الأمة الفاعلة من خلال تربية الأمة على نبذ العصبيات، وائتلاف القلوب، وتربية الذوق السليم وسمو التعامل مع الآخرين.

وأما أهم التوصيات فهي:

١. ضرورة تعليم الأبناء مبدأ التسليم، الذي هو من كمال الأدب مع الله تعالى، ودليل على محبته، جنباً إلى جنب مع تعليمهم مهارات التفكير الناقد؛ الذي يميز بين التبعية الثقافية وبين الاقتباس النافع مع تقديم أولوية الاعتزاز بالدين والعقيدة.
٢. أن يعتني المربون بتعظيم الوحيين في نفوس أبنائنا وبناتنا وذلك عن طريق التوجيه التربوي الجاد في بناء المناهج التعليمية المبنية على أسس ثابتة، فهي أولويات العمل التربوي الهادف.

المراجع:

١. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، بيروت، دار المعرفة، دت.
٢. الاختلاط بين الرجال والنساء، شحاتة محمد صقر، أحكام وفتاوى - ثمار مرة وقصص مخزية - كشف ١٣٦ شبهة لدعاة الاختلاط، دار اليسر، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٣. إشكال وجوابه في حديث أم حرام بنت ملحان، أبو عمر علي بن عبد الله بن شديد الصياح المطيري، دار المحدث للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥ هـ.
٤. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: الشقير والحميد والصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
٥. التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دت.
٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد أبو الفيض الزبيدي، دار الهداية، دت.
٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (١٣٩٣ه)، بيروت- لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م.
٩. التسليم للبص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، فهد بن صالح العجلان، جدة- السعودية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط٢، ٢٠١٥م.
١٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.
١١. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي بن جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
١٢. تهذيب التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، جميلة بنت عيادة الشمري، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦.
١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦ه)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، دم، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م.
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢ه-١٩٩٢م.

١٥. الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، القاهرة، دار الشعب، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.
١٦. الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري، بيروت، دار الجيل، دت.
١٧. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، السعودية / الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٨. الرضا عن الله بقضائه والتسليم بأمره، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، المكتبة السلفية، الهند، ط١، ١٩٩٠م.
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، تحقيق: على عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
٢٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
٢١. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتاب العربي، دت.
٢٢. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دت.
٢٣. شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٤. شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م
٢٥. طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، محمد يسري، ط٢، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٢٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ
٢٧. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٣م
٢٨. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دم، دن، دت.
٢٩. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

٣٠. لسان العرب، محمد بن بكر بن منظور الافريقي، بيروت، دار صادر، دت.
٣١. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
٣٢. مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.
٣٣. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة خيرية، جدة، مكتبة السوادي، ط٢، ١٤١٧ه-١٩٩٦م.
٣٤. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دم، دار الدعوة، دت.
٣٥. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، دم، البصائر للإنتاج العلمي، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٣٦. المنهيات، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٣٧. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م
٣٨. موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، دت.